

تفسير البحر المحيط

@ 372 @ المعنى نفى الشفاعة فانتفى النفع ، أي لا شفاعة شافعين لهم فتنتفعهم من باب :

على لاجب لا يهتدي بمناره .

أي : لا منار له فيهتدي به . وتخصيصهم بانتفاء شفاعة الشافعين يدل على أنه قد تكون شفاعات وينتفع بها ، ووردت أحاديث في صحة ذلك . { فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ } : وهي مواضع القرآن التي تذكر الآخرة ، { مُعْرِضِينَ } : أي والحال المنتظرة هذه الموصوفة . ثم شبههم بالحرر المستنفرة في شدة إغراضهم ونفارهم عن الإيمان وآيات الله تعالى . وقرأ الجمهور : { حُمْرٌ } بضم الميم ؛ والأعْمَشُ : بإسكانها . قال ابن عباس : المراد الحرر الوحشية ، شبههم تعالى بالحرر مذمة وتهجيناً لهم . وقرأ نافع وابن عامر والمفضل عن عاصم : { مُسْتَنْفِرَةٌ } بفتح الفاء ، والمعنى : استنفرها : فزعها من القسورة ؛ وباقي السبعة : بكسرها ، أي نافرة نفر ، واستنفر بمعنى عجب واستعجب وسر واستسخر ، ومنه قول الشاعر : % (أَمْسِكْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ % .
في إصر أحمره عهدن لعرب .
%) .

ويناسب الكسر قوله : { فَرَّتْ } . وقال محمد بن سلام : سألت أبا سرار العتوي ، وكان أعرابياً فصيحاً ، فقلت : كأنهم حمر ماذا مستنفرة طردها قسورة ؟ فقلت : إنما هو { فَرَّتْ } مِنْ قَسْوَرَةٍ ، قال : أفرتت ؟ قلت : نعم ، قال : فمستنفرة إذن . قال ابن عباس وأبو موسى الأشعري وقتادة وعكرمة : القسورة : الرماة . وقال ابن عباس أيضاً وأبو هريرة وجمهور من اللغويين : الأسد . وقال ابن جبير : رجال القنص ، وهو قريب من القول الأول ، وقاله ابن عباس أيضاً . وقال ابن الأعرابي : القسورة أول الليل ، والمعنى : فرّت من ظلمة الليل ، ولا شيء أشدّ نفاراً من حمر الوحش ، ولذلك شبهت بها العرب الإبل في سرعة سيرها وخفتها .

{ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ } : أي من المعرضين عن عظات الله وآياته ، { أَن يُؤْتَىٰ مِن مَّوْءَاظٍ } : أي منشورة غير مطوية تقرأ كالكتب التي يتكاتب بها ، أو كتبت في السماء نزلت بها الملائكة ساعة كتبت رطبة لم تطو بعد ، وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم) : لن نتبعك حتى يؤتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه

: من رب العالمين إلى فلان بن فلان ، يؤمر فيها باتباعك ، ونحوه { لَنْ زُؤْمِنَ *
لِرُقَيْصِكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَايْنَا كِتَابًا زَقْرَاهُ } . وروي أن بعضهم قال : إن
كان يكتب في صف ما يعمل كل إنسان ، فلتعرض تلك الصحف علينا ، فنزلت هذه الآية . وقرأ
الجمهور : { مُحْضًا } بضم الصاد والحاء ، { مَّؤْنَشَّارَةً } مشدداً ؛ وابن جبير :
بإسكانها منشرة مخففاً ، ونشر وأنشر مثل نزل وأنزل . شبه نشر الصحيفة بإشعار الموتى
، فعبر عنه بمنشرة من أنشئت ، والمحفوظ في الصحيفة والثوب نشر مخففاً ثلاثياً ، ويقال
في الميت : أنشره □ فنشر هو ، أي أحياه فحيي . .

{ كَلَّا } : ردع عن إرادتهم تلك وزجر لهم عن اقتراح الآيات ، { بَلْ لَّا يَخَافُونَ
الْآخِرَةَ } ، ولذلك أعرضوا عن التذكرة للامتناع إيتاء الصحف . وقرأ الجمهور :
يَخَافُونَ { بَيَاءُ الْغَيْبَةِ ؛ وَأَبُو حَيوة : بناء الخطاب التفاتاً . { كَلَّا } : ردع عن
إعراضهم عن التذكرة ، { إِنْ زَّهَتْ تَذَكُّرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ } : ذكر في إنه وفي
ذكره ، لأن التذكرة ذكر . وقرأ نافع وسلام ويعقوب : تذكرة بناء الخطاب ساكنة الذال ؛
وباقى السبعة وأبو جعفر والأعمش وطلحة وعيسى والأعرج : بالياء . وروي عن أبي حيو :
يذكرون بياء الغيبة وشذ الذال . وروي عن أبي جعفر : تذكرون بالتاء وإدغام التاء في
الذال . { هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى } : أي أهل أن يتقى ويخاف ، وأهل أن يغفر . وروى أنس
بن مالك رضي □ تعالى عنه أن النبي صلى □ عليه وسلم (فسر هذه الآية فقال :) يقول لكم
ربكم جلت قدرته وعظمته : أنا أهل أن أتقى ، فلا يجعل يتقى إله غيري ، ومن اتقى أن يجعل
معي إلهاً غيري فأنا أغفر له) . وقال الزمخشري : في قوله تعالى { وَمَا يَذْكُرُونَ
إِلَّا لَّـ أَنْ يَشَاءَ اللَّـهُ } ، يعني : إلا أن يقسره على الذكر ويلجئهم إليه ، لأنهم
مطبوع على قلوبهم معلوم أنهم لا يؤمنون اختياراً . .